

# من أدباء الجيل !!

للمؤلف: الأستاذ محمد سعيد العربيه

كانت أشعة الصباح ذابلة صفراء ، ترتعش لكل نسمة تهب ، وكان الجو عاصفا ، والمطر يلطم زجاج النافذة فينفذ رشاشه من فروعها ، ويسيل قطرات على الجدار ، وفي زاوية من الغرفة كان الفتى النحيل جالسا إلى نضد صغير يكتب.. منذ ساعات والفتى في مجلسه ذاك ، يستنزل الوحي ويتألف أشقات المعاني ، لا يكاد يحس شيئا حوله ، والناس نيام !

يجب أن يفرغ من إعداد هذه الخطبة التي يكتبها قبل الصباح ، إن هنالك من ينتظر .....

ودقت الساعة اثنتى عشر دقة ، فرفع الفتى رأسه عن أوراقه ووضع القلم وفي عينيه أثر الجهد والإعياء... وارتفق بذراعه على النضد الذي يتخذه خوانا بالنهار ومكتبا بالليل ، فسمع له مثل صرير الباب تضربه الريح... ودار بعينه في الغرفة التي تضم كل ما يملك من متاع ، ينقل بصره بين البذلة المعلقة بالمشجب ، والطربوش الملقى على الوسادة ، والفراش المشعث منذ غادره في الصباح الباكر . ثم زفر زفرة... وخرجت من بين الكتب المركومة إلى جانب الحائط دويبة صغيرة تلتمس طريقها إلى الباب في تشاقل وبطء . وارتدى إليها نظر الفتى ، فابتسم... ثم قلب شفته في رثاء « آه ، حتى أنت يامسكينة... تسهرين الليل مثلي في البحث عن القوت » . ثم عاد إلى مكتبه وأوراقه ..

وفرح الفتى من عمله ، فأشعل آخر دخينه في علبته ... ثم أخذ يقرأ  
لنفسه ما كتب ... وأشرق وجهه راضيا كأنما مسحت على آلامه يدٌ  
رحيمة ، ثم هب واقفا وعلى شفثيه ابتسامة الرضى والسلام ، وبسط أوراقه  
أمام عينيه .. وعاد يقرأ .

« أيها السادة ! ... »

وُخيل إليه في موقفه ذاك أنه هو ماهر بين الناس ، في جمع حاشد تشرتب  
أعناقهم إليه ، فلعب به الزهو واستخفته الكبرياء ، واستمر يخطب ...  
« ... أشكر لكم هذا التقدير الغالى ... إن أمة تحتفى بأدبائها هذه الحفاوة

العظيمة ... »

وأحس شيئا يَخِزُهُ في صدره فلم يتم ... « التقدير الغالى ... والحفاوة  
العظيمة ... » أين هو من هذه المعانى ؟

إنه منذ سنوات وسنوات يجاهد جهاده للفن والأدب ، وينشئ كل يوم في  
تاريخ الآداب فصلا جريدا ! وها هو ذا اليوم حيث بدأ منذ سنوات وسنوات ،  
لا يذكره أحد ولا يعترف له إنسان ، ولم يُجِدْ عليه جهادُ السنين شيئا ...  
ولكنه مع ذلك مشرول أن يعمل ، وأن يدأب ، لا ينسى ولا يستريح ؛ لأنه  
يريد أن يعيش !

وغام وجهه بعد صفاء ، وذبلت الابتسامة على شفثيه ، وتخاذلت كبرياؤه ،  
وعاد إلى نفسه يفكر فيما عليه من فرائض الحياة .

لقد أوشك الصبح أن يسفر ، وإن عليه موعدا أن يغدو مبكرا على الأديب  
الكبير (فلان ...) ليدفع إليه الخطبة التى أعدها وبذل فيها سوادَ ليله  
وعصارة قلبه ، ويقبض ثمنها ، شأنه معه منذ سنوات .

وطوى الفتى أوراقه كأنما يلف ميتا في أكفانه ، ثم أطفأ المصباح وأوى  
إلى فراشه .

واستيقظ بعد ساعات ، فلبس بذلته و تنض الغبار عن طربوشه ، ثم سلك  
باب غرفته ومضى يهبط السلم درجة درجة ، وفي يمينه الخطبة التي أعدها  
ليلقيا الأديب الكبير ... في حفلة تكريمه ! يا للسخرة !  
وسار على حيد الطريق ، ويسراه في جيبه تعبث بما فيه من قروش ،  
وفي رأسه خواطر تصطرع وتموج ....

أرأيت إلى الأب يمشى وحيدا في جنازة ولده العزيز ليشيعه إلى مشواه ؟  
كذلك كان يمشى هذا الفتى وفي يمينه أوراقه مطوية في غلافها !  
وعاج إلى بائع الصحف فاشتري واحدة ، فأخذ يقلب صفحاتها حتى  
انتهى إلى الموضوع الذي يبحث عنه ، فمضى يقرؤه ..

... لم يكن موضوعا جديدا عليه ، لقد قرأه من قبل مرات ، حتى ليعرف  
دلالة كل حرف فيه . أترأه يقرأ الساعة من الصحيفة التي في يده أم يقرأ من  
غيب صدره ؟ .. وانقبضت نفسه حين انتهى إلى الإمضاء ، ثم ابتسم ..  
... ماذا عليه أن يبيع المجد لطلابه بالمال ؟ إنه يعطيهم بما يملك لينتفع  
منهم بما لا يملك ؛ وماذا يجدي عايه المجد والشهرة وذيوع الصيت وإنه لمحتاج  
إلى الرغيف ؟

ليت شعري ، أي الرجلين أكثر جدوى على صاحبه ؟ ذلك الذي يُعطى  
القرش أم هذا الذي يأخذه ؟

وُخيل إلى الفتى أنه عرف الجواب فطابت نفسه وعاوده الشعور بالرضا  
والاطمئنان ! ونام الفتى في تلك الليلة ملء بطنه ... لا يعنيه من أمر الحياة شيء  
وسهر الأديب الكبير ليلته يستظهر الخطبة الموعدة ليلقيها مساء غد في  
حفلة تكريمه ...

وأشرق الصبح ، فنهض الفتى من فراشه ولبس بذلته وخرج لبعض شأنه ،  
وعاج على ندى في الطريق يتناول فطوره ، فطاب له المجلس ...

وجلس إلى جانب الباب يستبج عينية كل غادية وزائحة في الطريق ،  
وتسرحت خواطره فنونا ، من مشهد قريب إلى معنى بعيد ، وانفعل من  
دنياه يجرى في عنان الأوهام ... فما صحا من أحلامه إلا على صوت النادل  
يمد إليه يده بورقة الحساب ، وعاد إلى الحقيقة ولكن بعد مشوار طويل في  
وادي المنى ..

ودفع ماعليه ونهض ، ليعود إلى غرفته فيغلق بابها عليه ، ويجلس إلى مكتبه  
يستنزل الوحي ويؤلف أشتات المعنى ، وانتهى بما كتب والشمس في صفرة  
الأصيل . فغادر غرفته عجلان ليشهد حفلة التكريم .

\*\*\*

... وكانت الردهة الفسيحة ليس فيها مريض لقدم ، وقد نصت المقاعد  
صفوفاً صفوفاً فما بينها فرجة تتسع لعابر ، واختلطت أصوات المجتمعين فما يبين  
صوت من صوت ، وسكنت الأصوات فجأة حين بدت طلبة الأديب الكبير ،  
وتطاوت إليه الأعناق تنظر ، ومضى الأديب الكبير في طريقه ثابت الخطو ،  
وهو يرفع يديه إلى رأسه ، حتى انتهى إلى مقعده في صدر المكان والعيون  
ناظرة إليه ..

ووجد الفتى مكاناً في أدنى الردهة إلى الباب ، فجلس وإنه يشعر بما به كانه  
غريب في هذا المكان !

وتعاقب الخطباء خطيباً بعد خطيب ، وشاعر رابع شاعر ، يمدحون الأديب  
الكبير ويعتدون أياديه ، وهو مطرق الرأس من خجل ، لا يزيد على أن  
يبتسم !

وخيل إلى الفتى في مجلسه البعيد من خياله أشياء ، فكأنما هذا الاجتماع  
الحاشد وهذا الثناء الرطب من أجله ، هو وحده ، وكأنما هو هو ولا أحدهناك ،  
فأطرق رأسه من خجل كذلك ، لا يزيد على أن يبتسم !

وماذا يضيره أن يجهل الناس اسمه ومكانه وإنهم ليعرفون من يكون  
بآثاره وأدبه ! ماذا يضيره أن يكون كتابه في أيدي القراء بلا غلاف ولا  
عنوان ... ؟

ومضت ساعة ، ووقف الأديب الكبير ليؤدي واجبه لهؤلاء الذين اجتمعوا  
لتكريم أدبه والحفاوة به ، وأخذ يقرأ من غيب صدره .

« أيها السادة ! »

« ..... وأشكر لكم هذا التقدير العالي .... وإن أمة تحتفي هذه  
الحفاوة بالنابعين من أدبائها لحقيقة بالخلود ..... »

وقال الرجل الذي يجلس إلى جانب الفتى في الصف الأخير ونظر إليه :  
« ما أحكم منطقته وأسد بيانه ! »

قال الفتى : شكرا !

وسمعا الرجل وابتنس ، فما يملك أكثر من أن يبتسم ، وإنه ليعرف أن  
مجالس الأدب من أحفل المجالس بالمجانين !  
واستمر الأديب الكبير يخطب :

« إني لمدين للامة بما أبذل لها من أعصابي ومن دمي ، شاكر لله ما وهب  
لي من قدرة تهيتني لأن أكون بهذا المجال الرفيع بين أبناء قومي ... »  
« إن الأدب الذي يسمو بضمير الامة ، ويشرع لها طريقا إلى المجد

والخلود .... »

والتفت الفتى إلى جاره يقول : « لقد نسي فقررة طويلة ..... إنها كانت  
أجمل ما في الخطبة ! » ونظر إليه جاره فلم يتمالك أن ضحك ، فوضع راحته  
على فمه يكتم ضحكته أن تسمع ؛ وتنبه الفتى بعد سهوة ، فاحمر وجهه ثم اصفر ،  
ثم نهض فغادر المكان ..... !

\*\*\*

ونَهَضَ الفتي من فراشه مبكراً بعد ليلة ساهدة، فقصَدَ إلى دار الأديب الكبير يَهْتَدِي على مَنَالٍ من إعجاب الناس وما ظفَر به من التقدير والمكانة، ويستعينه على أمر... وقرأ صحف الصباح في الطريق، فعرف ما فاتته مما كان في الليل...

ودق الجرس فانفتح الباب، وقَدَّمَ الفتي بطاقته إلى الخادم، تخلفه واقفاً بالباب ينتظر ودخل يستأذن سيده، ثم عاد إليه بعد لحظة يعتذر؛ لأن سيده يائس واحمر وجهه من الغيظ، ولبث واقفاً بالباب برهة، ثم مشى وفي نفسه ثورة تضطرم، ومضى على غير وجهه!

وتذكر الفصل البديع الذي انتهى من كتابته أمس قبل أن يغادر غرفته إلى مكان الاحتفال، فأخرجه من جيبه ومشى يقرؤه...

لا، لا، لا، إن يكون بعد اليوم ذيلًا لأحد يبيع نفسه برغيف من الخبز، إنه يعرف اليوم قدر نفسه أكثر مما عرف في يوم من الأيام، لقد قالها الناس أمس كلمة « صريحة » وَعَظَمًا أذناه، إنه هو هو وإن جهل الناس اسمه ومكانه!

وسعى إلى إدارة الصحيفة التي نُشر فيها أول ما نُشر من منشأته منسوبا إلى الأديب الكبير، وأى الصحف أولى بتقدير أدبه والاعتراف بفضله، من الصحيفة التي عُرف منها « الأديب الكبير » أول ما عُرف، ثم كانت أول من دعا إلى تكريمه والحفاوة به. إنه هو هو وإن جهلت الصحيفة اسمه ومكانه. وأستأذن على المحرر ودخل فدفع إليه الورقات التي في يده... ونظر المحرر نظرة إلى وجهه وهندامه، ثم أثبت وضع النظارة على عينيه وأخذ يقرأ هذه الورقات ولكن من آخرها، ثم دفعها إلى الفتي؛ وفي صوت متأنق سمعه الفتي يقول: (يا بني، إنها محاولة، وإنني لأرجو أن يكون قريبا ذلك اليوم الذي تنشر فيه ماتكيب، بعد أن تأخذ عيِّدتك وتبضح...!)

وفتح الفتى فيه وهم أن يتكلم، ثم سكت، واتخذ طريقه إلى الباب في صمت... ومن النافذة التي ظاهما سهر بجانبها الليالي إلى مكتبه يستنزل الوحى ويؤلف أشقات المعانى، وقف يطل على الناس ساخرا، ثم أخرج الورقات من جيبه فزقها وأسلمها إلى الريح تنثرها على الرموس كسرب مذعور من الطير الأبيض!

\*\*\*

... وحين نشرت الصحف أن الحكومة قد رصدت من مال الدولة بضعة آلاف لمعاونة الأديب الكبير فلان... على تنفيذ مشروعه الأدبي العظيم... كان الفتى جالسا يقرأ الجريدة في ظل شجرة على رأس الحقل، ويستريح برهة مما جدد في الحرث والزراعة. وخار الثور المربوط إلى المحراث كأنما يريد أن ينبه الفتى إلى أنه قد آن

أوان العمل!

... ولكن الصحف لم تلبث أن عادت فنشرت في الغد أن الأديب الكبير قد كتب إلى الحكومة يشكر ويعتذر، لأنه قد اعتزل الأدب فماله هفوة إليه بعد!

وأسف الناس إذ قرءوا ما قرءوا، ولكن شخصا واحدا كان يعزف،

وكان يتسم ...!

محمد سعيد العربيان

## فهرست

### العدد الثاني من السنة السابعة

| صفحة | المقال                                    | الكاتب                 |
|------|-------------------------------------------|------------------------|
| ٣    | من شئون اللغة العربية                     | التحرير                |
| ٥    | نسب أبي تمام                              | لأستاذ عبد الحميد راضي |
| ١٥   | من مرآة النقد العربي                      | » عبد العظيم قناوي     |
| ٢٣   | التحقيقات اللغوية                         | » محمد أحمد برانق      |
| ٣٣   | الإنشاء في المدارس الثانوية               | » محمد علي مصطفى       |
| ٤١   | التمثيل في الأدب العربي، وخطا المتنبي منه | » علي النجدي ناصف      |
| ٥٣   | الأدب الحديث                              | » حسنين حسن مخلوف      |
| ٦١   | حيلة « القاء مقام »                       | » عبد الرزاق حميدة     |
| ٦٦   | الحروف الهجائية                           | » مهدي أحمد خليل       |
| ٧٤   | المروءة المقنعة « قصة شعرية »             | » محمود غنيم           |
| ٨٨   | من أدباء الجيل « قصة »                    | » محمد سعيد العريان    |